درة
أبحاث فقه اللغة العربية
في النصف الثاني للقرن العشرين.

بحث مقدم للمؤتمر الدولي

" معالم التجديد في فكرالشهيد الشيخ صبحي الصالح "

جامعة الجنان – مركز الأبحاث والتنمية

طرابلس – لبنان.

13/12 شوال 1427 هـ - الموافق 4/3 تشرين الثاني 2006 م .

الأستاذ الدكتور عبد المنعم طوعي بشناتي.
رئيس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الجنان- طرابلس – لبنان.

المقدمة

لقد أبدع ابن جني في كتابه الخصائص في معالجة المباحث اللغوية العربية، كما كان لكتاب الصاحبي لأحمد بن فارس العديد من أبواب اللغة العربية، وقد جمع السيوطي في كتابه المزهر أبوابـا كثيرة وناقش آراء علماء اللغة، وغيرهم من علماء اللغة القدامى.

وكان لعلماء اللغة آراءاً لغوية مثلما كان لابن خالوية في مسألة الترادف، كما كان لابـن درستوية وغيرهما بعض الآراء المتفرقة تناقلتها كتب اللغة، مثل: الأضداد، والترادف والنحت والإبدال والتعريب وغيرها.

ومن ظريف العناوين كتاب " فقه اللغة" للثعالبي لأن هذا العنوان لا يحكي تمامـا مـضمون الكتاب، وما آل إليه بعد ذلك مفهوم ومصطلح هذا العنوان.

ومع مطلع القرن العشرين وانبعاث الثقافة العربية واستشهاد رواد اللغة العربية في حينه أمثال: أحمد تيمور في كتابه (السماع والقياس) وطاهر الجزائري في كتابه (الكافي في اللغة) و(التقريب في أصول التعريب) وجرجي زيدان في كتابه (الفلسفة اللغوية) و(اللغة كائن حي) حيث كانت أرض الكنانة مصر تطبع كتبهم وتحكي نتائجهم .

وكان أنستانس ماري الكرملي، قد اشتهر بكتابه (نشوء اللغة العربية ونموهـا واكتـهالها) ونظرية الثنائية اللغوية ، ومرمرجي الدمنيكي مؤلف كتاب (هل العربية منطقية) و(المعجمية العربية في بلاد الرافدين العراق). وفي بلاد الشام كان عبد ا يد المغربي وعبد الله العلايلي الذي اشـتهر في كتابه(مقدمة لدراسة لغة العرب) .

وغير هؤلاء كثير من الكتاب والمؤلفين العرب كان قد سطع اسمهم في بلاد اللغة العربية.

وفي النصف الأول من القرن العشرين أنشئت الجامعات في الدول العربية، جامعة الملك فؤاد والأزهر في القاهرة، جامعة دمشق، جامعة بغداد، وغيرها فوصفت المواد اللغوية فكانت من المـواد الحديثة مادة: " فقه اللغة العربية"

صحيح أن كتب التراث هي الأصل في الثقافة العربية، إلا أن تقريرها في الجامعـات علـى طلاب كليات اللغة العربية والآداب كان صعب المنال، والكتب الحديثة ما هي إلا أبحـاث بـسيطة وبعض النظريات لا ترق إلى المستوى الجامعي.

وبفعل القوانين الجامعية الحديثة في الأمة العربية بتفعيل تدريس مواد اللغة العربية وبطريقـة حديثة تصل ما بين التراث العربي الأصيل والحداثة، قام العديد من الباحثين في وضع المؤلفات والكتب لتكون مناهج دراسية في الجامعات العربية، وكان على رأس الباحثين الدكتور علي عبد الواحد وافي

حيث ألّف في سنة 1940 م . كتابه (علم اللغة)[1] ثم بعد ذلك ألّف كتابه (فقـه اللغـة) وقـد أطراهما مجمع اللغة العربية في القاهرة بتاريخ 45/6/18م[2]. وقد أحسن الدكتور علي عبد الواحد وافي بكتابه فقه اللغة في جمع الأبحاث في كتاب واحد، إذ فتح في ذلك الطريق السوي لتأليف كتب متعددة الأبحاث والقضايا.

وفي سنة 1950 م صدر كتاب (من أسرار اللغة) للدكتور إبراهيم أنيس، وتـلاه سـنة 1958 م كتابه (دلالة الألفاظ) الذي حاز جائزة الدولة التشجيعية لـلأدب عـام 1958 م في مصر.[3]

كما ألف الدكتور تمام حسان سنة 1955 م كتابه (مناهج البحث في اللغة)، وتبعه سـنة 1958 م كتاب (اللغة بين المعيارية والوصفية)، كما ألف الشيخ محمد الخضر حـسين كتابـه (دراسات في العربية وتاريخها) سنة 1960 م.

وكان في العراق نهضة لغوية رائدة فقد ألف الدكتور إبراهيم السامرائي كتابه (دراسات في اللغة)، وطبع في بغداد سنة 1961 .

وفي دمشق ألّف الأستاذ محمد المبارك (فقه اللغة وخصائص العربية) سنة 1960م وكـان قد ابتدأ في تأليفه سنة 1957.[4]

ولا ننسى كتاب (أشتات مجتمعات) و (اللغة الشاعرة) للعقاد، و (علم اللغة) للـدكتور محمود السعران، و (دور الكلمة في اللغة) ترجمة الدكتور كمال محمد بشر، وكتـاب (اللغـة) لـ فاندرس , تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص سنة 1950 م، و (العربية، دراسـات في اللغة واللهجات والأساليب) ليوهان فك، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار سنة 1951م.

هذه الكتب المحترمة أبحاثها خصبة وجادة، وكتبا عديدة تحت أيدينا لم نـذكرها ، وكمـا نلاحظ أن آخر عهدنا بذكر الكتب كان الذي طبع 1960م، وبعد ذلك صدر كثيرا من كتب فقه اللغة.

وفي خضم انبعاث الثقافة اللغوية العربية ظهر كتاب (دراسات في فقه اللغـة) للـدكتور صبحي الصالح سنة 1379 هـ - 1960 م . في بيروت.

1- انظر هامش مقدمة علم اللغة ص (4) .

2- انظر إطراء مجمع اللغة في أول كتاب فقه اللغة .

3- انظر أول دلالة الألفاظ الطبعة الثالثة.

4- انظر فقه اللغة – أ . محمد المبارك . ص (7) .

آراء علماء اللغة في الأبحاث

في خضم التطور الثقافي اللغوي العربي، وعصر التأليف اللغوي الحديث لم يكن علماء اللغـة قد رضوا على الأبحاث والكتب المقررة في الجامعات، قسم اللغة أو الأدب العربي.

وكان الأستاذ محمد مبارك قد زاها في كتابه وأنه أتم بحث الكلمة المفردة من جميع جوانبها بطريقة تتدرج في تأليف الكلمة من عناصرها وأجزائها ومن مجموع نواحيها وجوانبـها وقـال :" وبذلك أكون قد سرت بالقارئ في طريقة تركيبية تؤدي به إلى تلك الصورة الجامعة للكلمة العربية".

ويبين أنه تجنب الطريق التي سلكها كثير من ا لمؤلفين في فقه اللغة العربية في عصرنا هـذا ، وذلك أ م أهملوا الربط المنطقي بين الأبحاث ولم يلتفتوا إليه.

وينتقد أسلوب ومناهج البحث العلمي ويقول :" فقد يبتدئ أحدهم ببحث ظاهرة الأعراب وهو بحث يتصل بالكلام المركب وحقه أن يكون آخر أبحاث فقه اللغة، ثم ينتقل إلى دلالة الحـروف قبل البحث في الاشتقاق مع أ ا فرع عنه، ونتيجة له، ثم يتحدث عن الاشتقاق ثم يعود إلى الحروف باعتبارها أصواتا ، وهو أول بحث يوجب المنطق التحليلي البدء به [1]

ويضرب مثلا آخر لكتاب في علم الأصوات ، ثم يقفز رأسا إلى النحو ونظم الكلام وتركيبه، ثم يعود إلى بحث الدلالة وهو بحث يتصل بالكلمة المفردة من حيث معناها، ويعتبر هذه الطريقـة في التأليف إنما روعيت فيها ظروف المؤلف الشخصية في إنضاج بحث من البحث والانتهاء منـها، ولم تراع فيها طبيعة الموضوع وتسلسل أجزائه، والارتباط المنطقي بينها وما تقتضيه إحـدى الطـريقتين التحليلية أو التركيبية. [2].

وفي سنة 1960 م صدر كتاب الدكتور صبحي الصالح " دراسات في فقه اللغة " ولم يكن الدكتور صبحي راضيا عن الكتب التي صدرت سابقاً وقد صرح بذلك، فقال :" فأنا لا أعرف كتاباً جامعاً في هذا العلم، لا قديما ولا حديثاً، وإنّ في كل كتاب أنصح به لعيبا أو عيوبـاً ، وإن كانـت مواطن الضعف تتفاوت بين كتاب وكتاب وبين باحث وآخر "[3]

مع العلم أن الدكتور صبحي كان معجبا كغيره بكثير من الكتب العربية القديمة والحديثـة، ولكنها كانت قاصرة أن تفي بالمقررات والمناهج والأساليب المطلوبة، وخاصة كتب الدكتور علـي عبد الواحد وافي الذي كان يجلّه ويحترم كتبه إلا أنه قال عن الطالب العربي الذكي الذي يقرأ كتـب

1- انظر مقدمة فقه اللغة – أ . محمد المبارك – ص (6) .

2- انظر نفس المرجع السابق .

3- دراسات في فقه اللغة صفحة (7).

الدكتور وافي: ولن يشفي غلته ما جمعه الدكتور وافي ونسقه منذ أكثر من عشرين عاماً وإن أطـرى مجمع القاهرة يومئذ كتابيه.[1]

والدكتور الصالح في مقدمة كتابه وجه رسالة إلى الأستاذ المحقق الدكتور إبراهيم أنـيس – هكذا سماه – وقال فيها: إنني على إجلالي للدكتور إبراهيم أنيس ، وتطلعي إلى الإفادة مـن كتبـه، كما تنم عن ذلك " دراساتي" هذه , أرى في كل مباحثه عيبا لا أطيق الإغضاء عنـه والـسكوت عليه، وأرجوا مخلصا أن يتداركه بنفسه في الطبعات المقبلة، وإن هذا العيب يتمثل في اونه بـأقوال المتقدمين، وندرة عزوه الآراء إلى أصحا ا، واستخفافه برد الشواهد إلى مراجعها ومظا ا.

كأن كتبه محاضرات عجلى لا مباحث مدروسة، أو كأ ا مجموعة ملاحظات : ليس فيهـا تحقيق للنصوص، ونقد للوثائق وموازنة بين المذاهب.[2]

وقد نقد الدكتور الصالح زميله الفاضل الأستاذ محمد المبارك[3] - هكذا سماه – وبين عيب كتابه فقه اللغة، وكان الكتاب قد صدر قبل كتاب الدكتور الصالح بأشهر - كما حرص الـدكتور الصالح أن يستفيد منه - ولكنه لم يبرأ مما يؤخذ على مؤلفات الدكتور أنيس , فقال: فلقد يخيـل إلى القارئ أن الأستاذ المبارك لا يبالي بالنصوص القديمة كثيرا، فما يذكرها إلا قليلا، ونادرا ما يعزوها في الحواشي إلى أصحا ا، ومع أن الأستاذ المبارك – كما يعلم إخوانه وصحبه، من أوثق النـاس صـلة بالقديم.[4]

وقد وضع الدكتور الصالح – رحمه الله – مقدمة العلايلي لدراسة لغة العرب، في ميزان النقد وقال فيه : إنه حاول أحيانا أن يجدد وهو في عالم خلقه لنفسه بمعزل عن القدامى والمحدثين.[5]

وقد أطرى الدكتور الصالح على الدكتور تمام حسان – خريج أوروبا – وعلـى كتاباتـه مناهج البحث واللغة بين المعيارية والوصفية , وأ ما جاءا آيتين في الدقة والتقصي ... ولكنـه نقـد الكتابين نقدا لاذعا مبينا أن في الكتابين عيبا أجسم من عيوب الكتب العصرية السابقة، فإن الدكتور حسان كثيرا ما يدخل الضيم على العربية وهو يطبق عليها ما أتقنه من المناهج الغربية، ماسخا بذلك أصوات العرب في رموز وطلاسم " استشراقية" فيها من عجمه الدخيل ما لا يطاق[6].

1- نفس المرجع ص (8) .

2- نفس المرجع ص (8-9) .

3- يذكر الدكتور صبحي الصالح أنه كان يدرس مادة فقه اللغة في دمشق سنة 1956 م، وأنه اشترك مع الأستاذ محمد المبارك في تدريسها , انظر صفحة (12).

4- نفس المرجع ص(9-10).

5- نفس المرجع ص(10)

6- نفس المرجع ص (10)

وقد وجه النقد إلى جرجي زيدان, وقال فيه: وكان في زيدان عيب أقبح يتمثل في "سطحية" علمه بهذه الأمور وفي تطفله على ميدان اللغة كما كان شأنه في أكثر الميادين. فما من بحث إلا خاض فيه، ولم يكن في واحد منها من أهلية.[1]

والذي قاله الدكتور الصالح هو حق، فالمطلع على الكتب الدكتور أنيس والدكتور حسان وجرجي زيدان وغيرها يلاحظ هذه النقود ظاهرة من بداية الأمر.[2]

وصحيح أن الدكتور الصالح أشاد بكتاب الأستاذ سعيد الأفغاني الذي سماه " في أصول النحو" لكنه ليس في باب فقه اللغة لأنه افتقر على أبواب هذا العلم.

وقد أكبر جهود العاملين في تنمية العربية أمثال عبد القادر المغربي وأنستانس ماري الكرملي وعبد الله أمين والأب مرمرجي الدومينيكي والدكتور مصطفى جواد والأمير مصطفى الشهابي، ولكن رأى أن هؤلاء العلماء كانوا يتناولون بالدراسة بعض الموضوعات الخاصة، ولم يتصدوا لتأليف كتاب جامع مدروس في فقه اللغة[3].

ويعترف الدكتور الصالح في مقدمته أنه كان معجبا بكتب هؤلاء الأعلام . وأنه اقتبس منهم أبحاثهم المتفرقة، واستفاد منها فطاب كتابه وأينعت ثماره بأفكار هؤلاء الأعلام[4].

تعريف بكتاب "دراسات في فقه اللغة "

لقد صدرت طبعة الكتاب الأولى عن مطبعة جامعة دمشق سنة 1960 م ، وقد ظن الدكتور الصالح أنه سيطول عليه الأمد قبل أن يشق طريقه إلى كليات العالم العربي ومعاهده العلمية العالية، وقد نفدت نسخ الكتاب بعد أشهر معدودة من تاريخ صدورها [5] وذلك أن أساتذة اللغة الجامعيين وطلاب الجامعات أحسنوا الظن بالكتاب، وعدوه أجود ما أُلّف في بابه، وبذلوا له من الدعاوة فوق ما يستحق[6]

وقد استغرق تأليف هذا الكتاب ست سنوات[7]. منذ سنة 1954م إلى حين صدور طبعته الأولى سنة 1960 م . مما أعطى للدكتور الصالح فسحة زمنية واسعة للتنقيح والزيادة والدراسة ومناقشة الموضوعات وغير ذلك بتأن وروية.

1- نفس المرجع ص(11) .
2- انظر كتبهم .
3- انظر دراسات في فقه اللغه ، ص (12) .
4- نفس المرجع , ص (13) .
5- انظر نفس المرجع , ص (5) .
6- انظر نفس المرجع .
7- انظر هامش الكتاب , ص (12) .

والناظر إلى الكتاب حين يتفحصه للمرة الأولى وهو يقلب صـفحاته الأربعمائـة وخمـس صفات يدرك اهتمام الدكتور الصالح بالمراجع والحواشي وإثبات المعلومـات وعزوهـا لأصـحا ا والمصادر والمراجع الهامة التي رجع إليها والبالغة مائة وثلاثة مرجع أو مصدر، زد المراجـع الأجنبيـة الخمسة. وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب والعديد من الفصول كانت على النحو التالي:

المقدمة:

الباب الأول: فقه اللغة، نشأته وتطوره . ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول : بين فقه اللغة وعلم اللغة.

الفصل الثاني : فقه اللغة في كتبنا العربية القديمة.

الفصل الثالث : تجديد البحث في فقه اللغة.

الباب الثاني: العربية بين أخوا ا السامية، ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول : أشهر فصائل اللغة **.**

الفصل الثاني : لمحة تاريخية عن اللغة السامية.

الفصل الثالث : العربية الباقية وأشهر لهجا ا .

الفصل الرابع : لهجة تميم وخصائصها.

الباب الثالث: خصائص العربية الفصحى، ويشتمل على عشرة فصول:

الفصل الأول : مقاييس اللغة الفصحى.

الفصل الثاني : ظاهرة الإعراب**.**

الفصل الثالث : مناسبة حروف العربية لمعانيها .

الفصل الرابع : المناسبة الوضعية وأنواع الاشتقاق .

الفصل الخامس : النحت أو " الاشتقاق الكبار" .

الفصل السادس: الأصوات العربية وثبات أصولها.

الفصل السابع : اتساع العربية في التعبير .

الفصل الثامن : تعريب الدخيل.

الفصل التاسع : صيغ العربية وأوزا ا

الفصل العاشر : العربية في العصر الحديث

الخاتمة.

هذه الأبواب والفصول ضمت العشرات من العناوين والجزئيات والاستـشهادات وإثبـات الأخبار، وقد لخّص ذلك الدكتور الصالح في ناية كتابه بفهرس الموضوعات[1] , في المقابل إذا قارنا مع بعض الكتب المذكورة نجدها قد خلت من العناوين وإثبات الأخبار ...

أهم مميزات الكتاب.

إنّ لكتاب دراسات في فقه اللغة العديد من المميزات ، فهو قد بحث موضوعات ذات أهمية وعراقة للفصحى وتناول بثبات الأخبار والقضايا.

وكان الدكتور الصالح يفتخر باستعماله لشواهد الأقدمين و تذيب مناهج المحدثين ومقاييس الأسلاف، حتى جاء الكتاب كالمرآة لملاحة العربية، وجاء معه الكثير من القديم الأصيل والكثير مـن المبتكر الجديد[2] .

ومن مميزات الكتاب أنه لم يتجاهل الأبحاث الحديثة وقد كان الدكتور الصالح معجبا بفصل الاشتقاق للدكتور إبراهيم أنيس الذي فرق بين الدلالة المكتسبة المتطورة والدلالة الوضعية الأصلية، كما اقتبس من الأستاذ المبارك فكرة ثبات الأصوات في العربية، كما سار مع الـدكتور حـسان في الدعوة إلى المنهج الإستقرائي الوصفي في أبحاث اللغة .

ووضع يده مع عبد ا يد عابدين ونادى بدراسة النحو العربي في ضوء اللغة السامية. وقـد تابع الشيخ عبد ا يد المغربي على رأيه في تـ يل المعرب مـ لة العربي, وأخذ عـن الأمـير مـصطفى الشهابي شروط النقل والتعريب لمصطلحات العلوم والفنون، وغيرها من القضايا والمسائل.[3]أكسبت الكتاب التوازن والتآلف مع الثقافة العربية وآراء العلماء والقدامى والمحدثين.

ومما يذكر أن لغة قريش قد تبوأت المكانة الأولى بين اللهجات العربية وقد أعتنى اللغويـون القدامى بلهجة قريش، ولكن اللهجات العربية الأخرى لم تحظ إلا بقليل من الأبحاث , وقـد تـرك الدكتور الصالح الحديث عن لهجة قريش ودرس لهجة تميم، ولهجة تميم من اللهجات النجدية الشرقية، وهي لهجة فصيحة ومعتمدة في القرآن الكريم إلى جانب لهجة قريش.

فلم نجد كتابا قبل "دراسات في فقه اللغة" للصالح قد درس كامل لهجة تميم فيوصفها توصيفا كاملا، وإنما وجدنا ملاحظات متفرقة موجودة عند علماء اللغـة يتحـدثون عـن لهجـة تمـيم، وخصائصها.

1- انظر دراسات في فقه اللغة , ص (387) .

2- انظر دراسات في فقه اللغة , ص (15) .

3- انظر دراسات في القه اللغة , ص(13-14) .

فعلماء اللغة يؤكدون كسر أوائل حروف المضارعة معروف في جميع لغات العرب إلا أهـل الحجاز[1].

ويعقد أبن جني بابا في تعارض السماع والقياس، ويبين أن لهجة تميم أكثر مراعاة للقيـاس، ويستشهد بلغة تميم في "ما" ولغة قريش في "ما" . ويذكر" أنّ" ما التميمية أقيس وإن كانت "مـا" الحجازية أيسر استعمالا.[2]

ومن القضايا المهمة في التفريق بين اللهجات العربية (نبر الهمزة) أي النطق ا – فلهجة تميم تنبر الهمزة وتنطق ا كما يشاركها في ذلك كثير من العرب، بينما لهجة أهل الحجـاز - قـريش- تسهيل الهمز، إلا إذا حاكوا لهجة تميم، وقد ذكر ذلك ابن منظور، فقال أبو زيد: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذ من قول تمـيم إلا النـبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا، قال : وقال أبو عمر الهذلي : قد توضيت فلـم يهمز، وحولها ياءا.[3]

ومن الخصائص في التفريق بين لهجة تميم ولهجة قريش " إدغام المثلين" فإن لهجة تميم تـدغم الحرفين المثلين، أو الحرفين المتجاورين المتقاربين، فالأمر من " غض" مثلا في لغة أهل الحجاز" أغضض " بفك الحرفين، وفي لغة " غض " وقد نزل القرآن بلغة قريش بقوله :" واغضض من صوتك"[4] وفي لهجة تميم بقوله :" ومن يحلّ عليه غضبي".[5]

وهناك العديد من ا لخصائص بين اللهجات العربية الفصيحة، وكان لا بد لمن يتصدر لمثـل هذا العمل المتميز أن يدرس هذه اللهجات، وحيث إن لهجة تميم موجودة ولكنها مبعثرة في أمهـات المصادر والمراجع اللغوية وهي بحاجة لمن يعيد ترتيبها وصياغتها وإبرازها باعتبارها إحدى اللـهجات العربية الفصيحة.

وقد شمر الدكتور الصالح وانكب يدرس الكتب ويستنبط منها لهجة العرب الأّصيلة لهجة بني تميم" وقد صورها في بحثه في فصل كامل سماه" لهجة تميم وخصائصها".[6]

وبالمناسبة ومما يذكر في هذا المقام ، فقد كنا ندرس في جامعة الأزهر- كلية اللغة العربيـة0 قسم أصول اللغة، الدراسات العليا سنة 1972 م، حيث كان مقررا علينا في اللهجات لهجة تمـيم،

1- انظر المخصص (216/14) , المزهر (255/1) , الصاحبي (19) .
2- نظر الخصائص (130/1 – 131) .
3- لسان العرب (المقدمة حرف الهمزة) 14/1) .
4- سورة لقمان ، الآية (19) .
5- سورة طه ، الآية (81) .
6- انظر دراسات في فقه اللغة (72) .

وكان الاتجاه أن نأخذ الدراسة من كتاب الصالح، حيث أعطى للبحث حقه ووفى الدراسة كأحسن باحث.

ومما تميز به كتاب" دراسات في فقه اللغة" مبحث ثبات الأصوات في العربية" فمن يـدرس أصوات هذه اللغة دراسة إحصائية دقيقة يؤخذ بظاهرة مدهشة حقا حين يرى رأي العين ثبات هذه الأصوات، فمن خصائص لغتنا احتفاظها بأنسا ا اللغوية، فلم يعترها من التغير في النطق بحروفها مـا اعترى سائر اللغات في العالم.(1)

فانفراد العربية بحفظ أنسا ا الصوتية يزداد وضوحا بمقارنته بما في اللغات الأجنبية الحية مـن اختلاط حروفها وانحدارها الطبيعي الذاتي نحو التبدل الصوتي.(2)

والقرآن الكريم بإيجاب ترتيله على نحو خاص كان السبب الجوهري في احتفاظ لغتنا بأصوا ا ثابتة، وبأنسا ا صريحة وبحروفها واضحة.

ويتحدث الدكتور الصالح عن التبدلات الصوتية اللغوية في اللغة اللاتينية.(3) ويبين كيف يتعدىحرف على حرف آخر ، فيستبدل أحدهما بالآخر ، فيذكر أن الكاف اللاتينية (G) تنقلـب في الفرنـسية شينا (ch) إذا وقعت قبل فتحة قديمة (a) ومثال ذلك:

في الفرنسية		في اللاتينية
chantre	مغن	Cantor
chien	كلب	Canom
cheval	فرس	Caballum

وأمثال هذه الأمثلة، ويبين أن مثل هذا القياس الصرفي يظل مجهولا حتى لدى الخاصة، وإنمـا يعرف ما وقع في هذه الألفاظ من التبدل الصوتي العالم اللغوي الذي أصبحت هذه المباحث شـغله الشاغل.(4)

وهنا تكمن روعة معرفة اللغات الأعجمية ومقارنة تطورها بتطور لغتنا الفـصحى، فيـبين الدكتور الصالح أنه ليس ثمة مجال لمقارنة هذه التبدلات الصوتية بأمثلة في العربية تخفى فيهـا المـادة الأصلية بعض الخفاء، كما في (أب، ويد ، ودم) فإن النسبة إلى هذه الكلمـات - صـادرة عـن

1- انظر الدراسات في فقه اللغة، د.الصالح ، ص (285) .

2- نفس المرجع (286) .

3- يساعده في ذلك ضلوعه بمعرفة اللغة الفرنسية كتابة وحديثا إلىجانب العربية الفصحى، وهو خريج السوربون.

4- نفس المرجع (287) .

متوسط الثقافة كصدورها عن الفقيه اللغوي - تومئ إلى الواو الكامنة في الأصول الثلاثة في كل من هذه الكلمات الثلاث، إذ تقول : (حنان أبوي ، وعمل يدوي، ومزاج دموي) فأصول الأنساب اللغوية ما ضاعت، وحقيقة الأصوات اللغوية ما اختلط بعضها ببعض، ولا التبس أمرها على أحد ممن له إلمام بسيط بالعربية.[1]

ويبين الدكتور الصالح أن اللغة الفرنسية ذات الأصل اللاتيني قد انقلبت بعض أصواتها عن اللاتينية ولكنك تجد في الفرنسية ضربا عجيبا من التغير الصوتي لا يقع مثله في العربية بحال من الأحوال.فإذا صرفت بعض الأفعال الشاذة في الفرنسية كفعل الذهاب (ALLER) فستجد فيه (أذهب JE VAIS) في الحاضر، (سأذهب J'IRAI) في الاستقبال، وستجد (يذهبون ILS VONT) في الحاضر (سيذهبون ILS IRONT) في الاستقبال ، فقد ضاعت الأنساب الصوتية عند التصريف.[2]

ويبين الدكتور الصالح التغيرات الصوتية والمزدوجات التركيبية الصوتية في اللغات اللاتينية، وتصريف الأفعال الفرنسية، وتطور المفردات وبعدها عن أصلها اللغوي، في الوقت الذي لا يخفى في العربية صوت من أصواتها مهما تتقلب تصاريف موادها المختلفة، فمادتها الأصلية محفوظة ورابطتها المعنوية مصونة.[3]

والدكتور الصالح درس مسألة تعريب الدخيل وبين أن بعد قريش عن بلاد العجم من جميع جهاتها لم يخل دون تسرب بعض الألفاظ الفارسية والرومية إليها.

وكان أبو منصور الجواليقي قد وضع كتابه (المعرب من الكلام الأعجمي) وفي بداية مقدمة الكتاب قال: هذا الكتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ، ليعرف الدخيل من الصريح.[4]

واللغوي الحصيف يميز عند الاشتقاق بين اللفظ العربي والأعجمي، وقد قال ابن السراج: مما ينبغي أن يحذر فيه كل الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت".[5]

1- نفس المرجع ، ص (288) .
2- انظر نفس الصفحة السابقة .
3- انظر نفس المرجع ،ص (289- 290) .
4- المعرب ، ص (51) .
5- نفس المرجع ، ص (52) .

وكان الخلاف بين العلماء محتدما حول نزول القرآن الكريم بألفاظ أعجمية، فقد قال أبـو عبيدة، : من زعم أن في القرآن لسان سوى العربية فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله تعالى:" إنا جعلناه قرآنا عربيا".[1]

ويعقب أبو عبيدة فيقول: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء، إلا أ ا سقطت إلى العرب فاعربتها بألسنتهم وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية.ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العـرب، فمن قال إ ا عربية فهو صادق، ومن قال: عجمية فهو صادق.[2]

وقدذكر الجواليقي في كتابه "المعرب" والسيوطي في "المزهر" العديـد مـن الألفـاظ ذات الأصول الأعجمية، وكذلك فعل غيرهما من اللغويين، فقد نقل السيوطي فصلا عن فقه اللغة للثعالبي في سياقة أسماء تفرد ا الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها،[3] وقد زخرت كتب اللغة بالألفاظ المعربة والدخيلة.

وكان الدكتور الصالح رأيا في اللغويين العرب حين ألفوا الكتب في المعرب والدخيل ، فيرى أ م لم يحسنوا دائما التمييز بين العربي والأعجمي ، فكثيرا ما نفوا أعجمية لفظ لأن القرآن نزل به، وليس في القرآن عندهم دخيل، وكثيراً ما زعموا عجمة لفظ من غير أن يقيموا لذلك دليلا، ويـرى أن علماء اللغة عطلوا وسيلة الاشتقاق وأبطلوها بجنوحهم إلى القول بعربية لفظ لـ ول القرآن الكريم به، ويضرب مثلا لذلك بكلمة (الفردوس) وأ م قالوا أ ا عربية، وأ م اشتقوها مـن (الفردسـة) بمعنى السعة، وكان عليهم أن يعترفوا بأن (الفردسة) مشتقة من اللفـظ الأجـنبي (الفـردوس) ، وكذلك في كلمة (الاستبرق) و (السندس) وسائر ما ورد في القرآن الكريم من الألفاظ الأعجمية المعربة التي أذهب القرآن عجمتها باشتماله عليها.[4]

والدكتور الصالح يحيل القارئ إلى بحثه " الاشتقاق " في كتابه[5] ليدلل على نظريته، فإن في تجمع الألفاظ العربية في أصل واحد ينتظم فروعها لما يسهل على الباحث التمييـز بـين الأصـيل والدخيل، فليس في العربية مادة(سردق) حتى نظن (السرادق) مشتقا منها، ومادة (سبرق) حتى نحسب (الاستبرق) متفرعا عنها، ولا (سندس) حتى نخال (السندس) مقياسا عليها، بل (السرادق) فارسي معرب، أصله (سرادار)[6] وهو الدهليز ،وليس في كلامهم اسم مفرد ثالثة ألفه وبعـدها

1- سورة الزخرف ، الاية (3) .
2- المزهر، (1/ 269) .
3- نفس المرجع، (275/1) .
4- انظر دراسات في فقه اللغة، ص (318) .
5- انظر نفس المرجع ، ص (178) .
6- انظر المعرب ، ص (248) .

حرفان، و (الاستبرق) الديباج الغليظ وهو بلغة العجم (استفرة)[1]، وإن أردت الاستزادة فعليـك بكتاب المعرب.

وينتقد الدكتور الصالح علماء اللغة الأوائل أمثال الأزهري صاحب ذيب اللغة، والجوهري مؤلف تاج اللغة وصحاح العربية فيقول: ومن أ عجب العجب أن ينقب بعض اللغويين عن أصـل عربي لهذا اللفظ، منكرا تعريبه، ل ول القرآن به، فإذا بالجوهري يذكره تارة في الباء من القـاف في مادة " ب رق " على أن الهمزة والتاء والسين من الزوائد، وتارة في السين والـراء، بينمـا يـذكره الأزهري في خماسي القال، على أن همزته وحدها زائدة، ويرى في مثله نمطا خاصا من الألفاظ الـتي وقع فيها وفاق بين العجمية والعربية، ثم يقول: " هذا عندي الصواب"[2] .وهذا يبين اضطراب علماء اللغة في أصل الكلمات وشكهم في أصولها ومعرفة عربيتها.

ويرى الدكتور الصالح أن العربية على اتساع مدارجها الصوتي ازدادت سعة على سعة يـوم أدخلت بين حروفها الهجائية أصواتا تقار ا مخرجا أو صفة، إذ عربت هذه الأصـوات الدخيلـة، وحددت لها مواقعها من جهاز النطق، فلم تستعص على ألسنة العامة فضلا على الخاصة، فقُطع بذلك الشوط الأول من التعريب: ألا وهو تعريب المادة الصوتية، وتطويعها لأصوات العربية.[3]

وقد عالج الدكتور الصالح مسألة تعريب العلوم ا لأجنبية ، وبين أن العلـوم الدخيلـة قـد اتسعت العربية أيضا لترجمتها وتعريب مصطلحا ا، وبلغت حركة الترجمة في عصر المأمون أوجهـا حين عربت ألفاظ الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة: وما يزال كثير من هذه الألفاظ صالحا للتعبير عن هذه العلوم إلى يومنا هذا.[4]

وقد شدد الدكتور الصالح على ت يل الكلمة الأعجمية على أحكام العربية وأن نختار لتعريبها وزنا يشبه الأوزان العربية ، فكلمة (physique) يمكن أن تترجم بعلم الطبيعة، ولكن الترجمة ليست دقيقة، وخير منها تعريب اللفظة نفسها منتهية بالألف ولكيلا يضيع أصل التسمية، فتقول(فيزياء).[5]

هذه بعض ميزات كتاب " دراسات في فقه اللغة " للدكتور صبحي الصالح، ولـو أردنـا توسيع البحث لجاء على مستوى رسالة ماجستير أو دكتوراه، وهذا ما حدث فعلا ، فقـد قبلـت الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية الفرع الثالث بتسجيل رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدا ا بعنوان: الشيخ الدكتور صبحي الصالح لغويا من خلال كتابه" دراسات في فقه اللغة". وقـد

1- انظر المعرب ،ص (63) .

2- انظر الدراسات في فقه اللغة, ص (178) .

3- انظر دراسات في فقه اللغة , ص (319) .

4- المرجع السابق , ص (320) .

5- نفس المرجع , ص (323) .

قامت الأستاذة وفاء محمد حسن الأيوبي بإعداد الرسالة، وأشرف عليها الدكتور هاشم الأيوبي، سنة 2001 م طرابلس لبنان، وقد وقعت الرسالة في (325) صفحة ، ومن القطع الكبير.

فمن أراد الاستزادة من علم الدكتور الصالح في فقه اللغة، فعليه أن يطلع على كتابه المشهور فهو سوف يجد فيه ضالته المنشودة حيث سبك آراء علماء اللغة القدامى والمحدثين وأضاف إليهم من علمه الغزير، وأسلوبه العلمي الرصين، وآرائه الحصيفة الدقيقة.

رحم الله رجل العلم ا ـدد، شهيد الأمة الإسلامية والعربية، سماحة العلامة الشيخ الـ ـدكتور صبحي الصالح، تغمده الله برحمته وغفر الله له.

أ. د. عبد المنعم بشناتي.

رئس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الجنان – طرابلس – لبنان .

12/9/ 2006 م

ملخص البحث

أولاً : المقدمة:

كان لعلماء اللغة القدامى الفضل الكبير في جمع اللغة العربية والمحافظة عليها، وبيان مضامينها ودقائقها اللغوية ، فوضعوا المصنفات والموسوعات فدرسوا الكلمة والجملة والظواهر اللغوية المتعددة.

ومع انبعاث النشاط الثقافي العربي في مطلع القرن العشرين ظهر رواد اللغة العربية في مـصر وبلاد الشام وغيرهما وخاصة في العراق.

وخلال ـضة الأمة العربية الحديثة أنشئت الجامعات العربية على أساليب وطرق رائـدة في القاهرة ودمشق وبغداد، وفوضعت مواد الجامعات الجامعية على أفضل الطرق الحديثة، فقام العديـد من المؤلفين والمدرسين والباحثين بوضع الكتب ا لرائدة

وباعتبار أن مادة فقه اللغة العربية مادة جامعية ناشئة وحديثة فقد قام الأستاذ الكـبير عبـد الواحد وافي بتأليف كتبه المشهورة في هذا المضمار، كما تبعه الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور تمـام حسان والدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور صبحي الصالح، وغيرهم يرفدون اللغة العربية وآدا ا بأبحاثهم وكتبهم القيمة.

ثانيا: آراء علماء اللغة في الأبحاث :

لما كان علماء اللغة قد وصفوا مادة فقه اللغة في الجامعات العربية، وهذه تعتبر خطوة نحـو إنشاء ثقافة لغوية حديثة , تبين أن الأبحاثاللغوية في هذا المضمار له مستويات علمية، فقـد أفـصح الأستاذ محمد المبارك أنه أتم بحث الكلمة المفردة من جميع جوانبها بطريقة التدرج في تأليف الكلمة من عناصرها وأجزائها ومن مجموع جوانبها ونواحيها، كما يبين أنه قد سار بالقارئ في طريقة تركيبيـة تؤدي به إلى تلك الصورة الجامعة للكلمة والعربية، ويذكر أنه تجنب الطريق التي سلكها كـثير مـن المؤلفين في فقه اللغة العربية في عصرنا هذا، وذلك أ ـم أهملوا الربط المنطقي بين الأبحاث ولم يلتفتـوا إليه، وينتقد أسلوب ومناهج البحث العلمي عامة.

وصدر كتاب الدكتور صبحي الصالح سنة 1960 " دراسات في فقـه اللغـة" ولم يكـن الدكتور الصالح راضيا عن الكتب التي صدرت سابقا ، فقال: فأنا لا أعرف كتابا جامعـا في هـذا العلم، لا قديما ولا حديثا، وإنّ في كل كتاب أنصح به لعيبا أو عيوباً وإن كانت مـواطن الـضعف تتفاوت بين كتاب وكتاب وبين باحث وآخر. وإن كان معجباً بالكتب القديمة وبكتب الـدكتور علي عبد الواحد وافي، إلا أنه يرى أن الطالب العربي الذكي الذي يقرأ كتب الدكتور وافي لن يشفي غلته مما جمعه. كما وجهه رسالة مفتوحة للدكتور إبراهيم أنيس لتعديل كتابه " دلالة الألفاظ" وعزو الآراء لأصحا ا .

كما نقد الدكتور الصالح صديقه الأستاذ محمد المبارك والدكتور تمام حسان و الشيخ العلايلي وجرجي زيدان وعبد الله أمين وعبد القادر المغربي وأنستانس ماري الكرملي والأب مرمرجي الدومينيكي وغيرهم . ويرى أن مثل هؤلاء العلماء كانوا يتناولون بالدراسة بعض الموضوعات الخاصة، ولم يتصدوا لتأليف جامع مدروس في فقه اللغة.

ثالثاً : تعريف بكتاب" دراسات في فقه اللغة".

نال كتاب الدكتور الصالح- الذي صدر سنة 1960م - شهرة عريضة وقد نفدت نسخ الكتاب بعد أشهر معدودة من تاريخ صدورها، وكان الدكتور الصالح استغرق في تأليف الكتاب ست سنوات، مما أعطى للدكتور الصالح الفسحة الزمنية للتنقيح والزيادة والدراسة ومناقشة الموضوعات بتأن وروية.

والكتاب حوى على الموضوعات الحيوية والقضايا اللغوية الأساسية المطروحة في البحث العلمي، فقد فصل البحث في نشأة وتطور فقه اللغة وعلم اللغة وأهمية فقه اللغة في إرثنا الثقافي، وتجديد وتطور البحث في هذا العلم واللغة العربية بين اللغات السامية، وأشهر فصائل اللغات السامية ولهجاتها، كما تضمن دراسة لهجة بني تميم وخصائصها، ثم توسع في الكلام عن خصائص العربية الفصحى، فبين مقاييس اللغة الفصحى وظاهرة الإعراب ، ومناسبة حروف العربية لمعانيها، والمناسبة الوضعية وأنواع الاشتقاق، والنحت , والأصوات العربية وثبات أصولها، واتساع العربية في التعبير، وتعريب الدخيل، وصيغ العربية وأوزانها، والعربية في العصر الحديث ، وقد أثبت الدكتور الصالح جميع المسائل من المصادر الأصيلة.

رابعاً : أهم مميزات الكتاب.

كان الدكتور الصالح يفتخر باستعماله لشواهد الأقدمين و تهذيب مناهج المحدثين ومقاييس الأسلاف ، حتى جاء الكتاب كالمرآة لملامح عربية، وجاء معه الكثير من القديم الأصيل والكثير من المبتكر الجديد.

فمن مميزات كتاب" دراسات في فقه اللغة" دراسة الفصحى بدقة وإلى جانبها دراسة لهجة بني تميم حيث لم تحظ بالدراسة كما كان للهجة قريش، علما أن لهجة تميم فصيحة ومعتمدة في القرآن الكريم إلى جانب لهجة قريش.

ومما أشار إليه الدكتور الصالح" ثبات الأصوات في العربية" فمن يدرس أصوات اللغة العربية دراسة إحصائية دقيقة يؤخذ بظاهرة مدهشة حقا حين يرى ثبات هذه الأصوات , فمن خصائص لغتنا احتفاظها بأنسابها اللغوية، فلم يعترها من التغيير في النطق بحروفها ما اعترى سائر اللهجات في العالم، ويضرب الدكتور الصالح – المتحدث بالفرنسية بطلاقة - مثلا باللغة الفرنسية ذات الأصل اللاتيني بأن بعض أصواتها قد انقلب عن الصوت اللاتيني، وضاعت النساب الصوتية عند التصريف،

بينما الأنساب الصوتية في التصريف العربي لا تخفى مهما تتقلب تصاريف موادها المختلفة ، فماد ـ ا الأصلية محفوظة ورابطتها المعنوية مصونة.

وكان للدكتور الصالح رأيا في اللغويين العرب حين ألفوا الكتب في المعرب والدخيل، فيرى أ م لم يحسنوا دائما التمييز بين العربي والأعجمي، فكثيرا ما نفوا أعجمية لفظ لأن القرآن نزل بـ ـه، وليس في القرآن عندهم دخيل، وكثيرا ما زعموا عجمه لفظ من غير أن يقيموا لذلك دليلا، ويـ ـرى أن علماء اللغة عطّلوا وسيلة الاشتقاق وأبطلوها بجنوحهم إلى القول بعربية لفظ لـ ول القرآن الكريم به.

ويرى الدكتور الصالح أن العربية - على اتساع مدرجها الصوتي - ازدادت سعة على سعة يوم أدخلت بين حروفها الهجائية أصواتا تقار ا مخرجا أو صفة، إذ عربت هذه الأصوات الدخيلـ ـة، وحددت لها موقعها من جهاز النطق، فلم تستعص على ألسنة العامة فضلا على الخاصة، فقطع بذلك الشوط الأول من التعريب، ألا وهو تعريب المادة الصوتية، وتطويعها لأصوات العربية

وقد عالج الدكتور الصالح مسألة تعريب العلوم الأجنبية وبين أن العلوم الدخيلة قد اتسعت العربية أيضا لترجمتها وتعريب مصطلحا ا. وشدد على تـ يل الكلمة الأعجمية على أحكام العربية وأن نختار تلعريبها وزنا يشبه الأوزان العربية.

والله الموفق.

أ. د. عبد المنعم بشناتي.
رئيس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية.
جامعة الجنان - طرابلس – لبنان.

المراجع

1- دراسات في فقه اللغة : تأليف د. صبحي الصالح ، الطبعة الخامسة، درا العلـم للملايـين- بيروت.

2- دلالة الألفاظ : تأليف الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية.

3- الصاحبي في الفقه اللغة وسنن العرب في كلامهم : لأحمد بن فارس، المكتبة السلفية بالقـاهرة 1328هـ.

4- علم اللغة: تأليف د.علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة مصر

5- فقه اللغة: تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي، الطبعة السابعة، دار النهضة مصر للطباعـة والنشر، الفجالة – القاهرة.

6- فقه اللغة وخصائص العربية: الأستاذ محمد المبارك، الطبعة الثالثة 1968 م - دار الفكـر – بيروت.

7- الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية : تأليف جرجي زيدان، مراجعة وتعليق الدكتور كامل مراد، طبع بمطابع مؤسسة دار الهلال، 1969 م.

8- لسان العرب : لابن منظور، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتـأليف والترجمة، سلسلة تراثنا.

9- اللغة العربية معناها ومبناها: تأليف د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973 م.

10- اللغة الشاعرة : لعباس محمود العقاد، مكتبة غريب، 1 شارع كامل صدقي - الفجالة، بدون تاريخ.

11- المخصص لابن سيدة، طبعة بولاق 1316 هـ.

12- المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها : للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيـق: محمد أحمد جاد المولى، محمد علي بجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه - بدون تاريخ.

13- المعرب من الكلام الأعجمي : تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، وزارة الثقافة ، مركز تحقيـق التراث ونشره، الطبعة، الثانية، مطبعة دار الكتب – مصر- 1389 هـ / 1969 م.

فهرس الموضوعات